Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الحديث عن حزن حقيقى لفقد عزيز ، أو عن حالها النفسية والمعيشية والاجتماعية من جراء فقد صخر ، وأما الحيرة والوله والجزع الذى يتاب امرأة لفقد شخص عزيز عليها فلا نكاد نجده فى شعر الخنساء ، ونستطيع أن نتبين الفارق الواضح بين رثاء الخنساء الذى يكاد لا يصدق عليه من الناحية الفنية أنه رثاء ، وان صدق عليه كما قلنا أنه فخر مقلوب ، وبين رثاء أبى ذؤيب الذى نحس فيه نغمة الحزن العميق ، رغم عفوية معانيه ، كقوله :

فغبرت بعدهم بعيش ناصب ... وإخال أنى لاحق مستتبع (١٣)
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... فإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع (١٤)
فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهى عور تدمع (١٥)

ولكننا لو قلبنا شعر الخنساء كله فلن نجد فيه هذه الروح التى تتحدث عن الموت لذاته ولا عن أثر الفراق ، ولا عن هذا الحزن الذى قد تكون بساطة المعنى ، وعدم تعقيده أو إيغاله فى العمق أو انتقاء الأسلوب أدل على الصدق ، وبالتالى أشد تأثيرا فى نفس السامع ، ووصولا إلى مشاعره من الاعتماد على جودة الصياغة ، وانتقاء للمعانى ، وخصوصا لدى المرأة ، فإننا لو تتبعنا منهج المرأة فى الرثاء لوجدنا أنه يغلب عليه الاعتماد على التصوير الواقعى لما يتعلق بالموت بصورة بسيطة موغلة غالبا فى الواقعية ، كالحديث عن الناعى الذى جاء يبلغها خبر الموت ، ووصف حال الميت نفسه عند الموت أو جنازته ، ووصف القبر وحال الميت فيه ، ووصف حال أولاد الميت عند موته ، وكذلك كل ما يتعلق بالموت نفسه دون الاهتمام كثيرا بالآثار الاجتماعية للموت ، وتتبين هذا بوضوح فى مراثى شواعر العرب اللاتى جمع لويس شيخو عددا غير قليل من قصائدهن ، وكذلك تتبين هذا فى الرثاء الشعبى الذى يعبر به النساء عن حزنهن عند موت عزيز (١٦) ، ولكن الخنساء عكست الوضع ، فلا نجد فى رثائها طابع الحزن على الميت نفسه ، وإنما نجد الأثر الاجتماعى لفقده ، وهذا منزع الفخر ، وليس الرثاء ، وحين اضطرت إلى أن تجعل هذا الفخر رثاء كان فخرا مقلوبا أو معكوسا كما قلنا